دور المرأة الصالحة في تنشئة العلماء
العلماء النجديين أنموذجاً

كتبه

محمد بن سعد العيد

٢٤/٧/ ١٤٤٢هـ

قناة التاريخ النجدي

https://t.me/tarekng

الحمد لله

للمرأة دور كبير في تنشئة الأولاد داخل الأسرة، وهي شريكة مع الأب في تربية البنين والبنات على المعاني الطيبة والأخلاق الكريمة، وإذا أُحسِن تربيتها ظهر ثمرة ذلك على بيتها أولاً، ثم على المجتمع ثانياً، وتزداد مسؤوليتها إذا فُقِد الأب، ففي هذه الحالة تأخذ مكانه ومهمته في التربية.

وربما تكون **الأمّ** أكثر تأثيراً وأعظم توجيهاً في حياة أبنائها، وذلك لشدّة قربها منهم، وعظيم تعلُّقها بهم، فتصرّفاتها وكلامها ينطبع في آذانهم؛ فيتعلّم الأطفالُ منها الكثيرَ، وصدق القائل:

ولم أرَ للخلائق من محلٍّ ... يُهذِّبها كحِضن الأُمّهاتِ

فحضْن الأُمّ مدرسة تسامتْ ... بتربيةِ البنين أو البناتِ

وأخلاقُ الوليدِ تقاس حسناً ... بأخلاق النساءِ الوالداتِ

وليس ربيبُ عاليةِ المزايا ... كمثل ربيب سافلة الصفاتِ(١)

ومن تتبع تراجم العلماء سلفاً وخلفاً لا يخطئه أثر **الأمُّ الصالحة** في دفع ابنها للعلم الشرعي، وحثها عليه، وفي التاريخ الإسلامي نماذج مشرّفة **وأُمّهات** رائعات استطعن أن يضعن أثرهن ويصنعن رجالاً بحق! ومن الأمثلة على ذلك:

*** الإمام سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري(٩٧- ١٦١هـ) رحمه الله:**

فقد كان وراءه **أُمٌّ صالحة**، تكفلت بتربيته والإنفاق عليه، فكان هو ثمرتها، وفي ذلك يقول: "لما أردت أن أطلب العلم؛ قُلتُ: يا ربِّ، لابد لي من معيشة. ورأيت العلم يَدْرُس(٢)؛ فقلت: أُفرِّغ نفسي لطلبه، قال: وسألتُ ربي الكفاية والتشاغل لطلب العلم، فما رأيت إلا ما أحب إلى يومي هذا"(٣)، يعني أن يكفيه أمر الرزق، فكان من كفاية الله له في ذلك الشأن أن قيَّض له **أُمَّهُ** التي قالت له: "يا بُنَيَّ، اطلب العلم وأنا أكفيك من مغزلي"، ولم يتوقف دور **أُمَّهُ** على ذلك بل كانت تتخوله بالموعظة، ومما قالته له ذات مرة: "يا بُنَيَّ، إذا كتبت عشرة أحاديث فانظر هل ترى في

---

(١) من قصيدة لمعروف الرصافي مطلعها:

هي الاخلاقُ تنبتُ كالنباتِ ... اذا سُقيت بماء المكرماتِ

(٢) أي: يذهب ويندثر.

(٣) حلية الأولياء، لأبي نُعيم الأصبهاني ٦/ ٣٧٠-٣٧١، دار الفكر، بيروت، طبعة عام ١٤١٦هـ.

نفسك زيادة في مشيتك وحلمك ووقارك فإن لم تر ذلك فاعلم أنه لا يضرك ولا ينفعك"(١).

*** محمد بن عبد الرحمن بن هشام المخزومي الملقب بالأوقص (----١٦٩هـ)(٢) رحمه الله:**

كان الأوقصُ قصيراً دميماً ومَن هذه صِفته لن يكون له شأن بين الناس بل سيُحتقر بينهم، فأرشدته **أُمّهُ** إلى طلب العلم ففيه رِفعة له في دُنياه وأُخراه، حيث قالت: "يا بني، إنك خُلِقْتَ خِلقة لا تصلح معها لمعاشرة الفتيان، فعليك بالدِّين؛ فإنه يُتِمُّ النقيصةَ، ويرفع الخسيسة، فنفعني الله بقولها فتعلمتُ الفقه فصرتُ قاضياً". قال أبو إسحاق الحربي: "وكان محمد بن عبد الرحمن الأوقص عُنُقُه داخلاً في بدنه، وكان منكباه خارجين كأنهما زُجَّان(٣)، فقالت له **أُمّهُ**: يا بني لا تكون في قوم، إلا كنت المضحوك منه المسخور به، فعليك بطلب العلم، فإنه يرفعك. قال: فطلب العلم"، وبرز فيه، ومما ورد في ترجمته أنه "وُلِّي قضاء مكة عشرين سنة، فكان الخصم إذا جلس بين يديه يُرْعَدُ حتى يقوم"(٤).

---

(١) تاريخ جرجان، لأبي القاسم السهمي، ص ٤٩٢، عالم الكتب، بيروت الطبعة الرابعة، عام ١٤٠٧هـ.

(٢) الأوقص: قصير العُنُق.

(٣) هي الحديدة التي تكون أسفل الرمح.

(٤) الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، تحقيق عادل العزازي، ١/ ١٤٠-١٤١، دار ابن الجوزي، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤١٧هـ.

*** إمام دار الهجرة مالك بن أنس الأصبحي (٩٣- ١٧٩هـ) رحمه الله:**

فقد كانت **أُمّهُ** تعظم العلم في نفسه وتحثه عليه وفي ذلك يقول: "كانت **أُمّي** تلبسني الثياب، وتعممني وأنا صبي، وتوجهني إلى ربيعةَ بن أبي عبد الرحمن، وتقول: يا بُنَيَّ، ائت مجلس ربيعة، فتعلم من سمته وأدبه قبل أن تتعلم من حديثه وفقهه"(١).

*** إسماعيل بن إبراهيم بن مقسم مولى بني أسد المشهور بابن عُليّه(١١٠- ١٩٣هـ) رحمه الله:**

كانت **أُمّهُ** سبباً في طلبه العلم وتحصيله له، حيث أخذت بيده إلى عبد الوارث بن سعيد وفي ذلك يقول عبدالوارث: "أتتني عُليّة بابنها. فقالت: هذا ابني يكون معك، ويأخذ بأخلاقك. قال: وكان من أجملِ غلامٍ بالبصرة، قال: فكنت إذا مررت بقوم جلوس قلت له تقدم، فكنت أجيء بعده إلى المُحَدِّث. قال إبراهيم: فخرج ابن عُليّه(٢) وأهل البصرة لا يشكّون أنه أثبت من عبدالوارث"(٣).

والأمثلة من أخبار السلف في تربية النشء وتحبيبهم لطلب العلم كثيرة، وفيما ذُكِر إشارة وتذكرة.

---

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، لابن عبد البر، تحقيق محمد عبد القادر عطا، ٢/ ٥، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، عام ١٤٣١هـ.

(٢) أي تفوّق عليه.

(٣) تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، تحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، ٧/ ٢٣٠، دار الكتب العلمية، بيروت، طبعة عام ١٤٣٢هـ.

المرأة النجدية:

لم تكن المرأة النجدية بعيدة عن غيرها من نساء المجتمعات الإسلامية بمشاركتها في تخريج أجيال من العلماء، بل كان لها دور بارز وواضح في ذلك، وساهمت - بعد توفيق الله - في إيجاد علماء لا زلوا مفخرة لأُسرِهم ومجتمعهم، وأصبح أسماء بعضهم معروفة في الخافقين، فأبقى الله ذكرهم بعد رحيلهم عن الدنيا بما تركوه وورّثوه من علم نافع، وهذا من آثار العلم التي يجنيها المرء بعد موته، وصدق الأول حين قال:

وَتُفقَدُ إِن جَهِلتَ وَأَنتَ باقٍ ... وَتوجَدُ إِن عَلِمتَ وَقَد فُقِدتا(١)

ومما وقفتُ عليه من الأمثلة في ذلك:

*** عبدالعزيز بن صالح بن محمد الصيرامي (١٢٥١- ١٣٤٥هـ) رحمه الله:**

نشأ في حِجْر والدته حيث توفي والده وهو صغير في السن، فأحسنت **أُمّهُ** تربيته، وقد كانت امرأة صالحة صوَّامة قوَّامة، توفيت وهي صائمة، فشبَّ ابنها تقيا صالحاً، وظهر أثر صلاح **أُمّهُ** فيه.

وطلب العلم على الشيخين عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ(١١٩٣-١٢٨٥هـ) وابنه عبداللطيف(١٢٢٥-١٢٩٣هـ) رحمهما الله، وقد رزقه الله حُسن الصوت، وجودة القراءة، وهو الذي يقرأ على شيخيه في المجامع، ومما

---

(١) من قصيدة للإمام أبي إسحاق الألبيري ومطلعها:

تَفُتُّ فُؤادَكَ الأَيّامُ فَتّا ... وَتَنحِتُ جِسمَكَ الساعاتُ نَحتا

اشتهر عن شيخه عبداللطيف بن حسن أنه قال لأحد طلبة العلم ممن قراء بعده: كن صيراميّاً وإلا فاسكت.

من العُلماءِ العاملينَ بعلمِهم ... فكُن صيرميّاً إثرَ هادٍ وصارمِ(١)

تولى القضاء وسُدِدَ في أقضيته، وقد كان ذا عقلية فذة مع دهاء وأناة فيه، وكانت أوقاته في غير القضاء معمورة بالتلاوة والذكر والصلاة وكان ورده اليومي من القرآن الكريم عشرة أجزاء(٢).

*** أبناء الشيخ حمد بن علي بن عتيق (١٢٢٧- ١٣٠١هـ) رحمه الله:**

سعد(١٢٦٧- ١٣٤٩هـ) و عبدالعزيز (١٢٧٧- ١٣٥٩هـ) وعبداللطيف (١٢٨٢- ١٣٤٧هـ) وإسحاق (١٢٨٧- ١٣٤٣هـ) رحمهم الله:

فقد كان **لأُمّهم** سارة بنت ابن كسران رحمها الله دور في نشأتهم الدينية وتحبيب العلم وطلبه لديهم مع مكانة أبيهم العلمية، حيث إنها كانت معروفة بالانقطاع للعبادة ومطالعة الكتب، وكانت حافظة للقرآن الكريم، ومما قيل في ذلك: إنها في أول ليلة من زفافها قرأت على زوجها الشيخ حمد سورة البقرة حفظاً(٣)، وقد كان لصلاحها - بعد توفيق الله -

---

(١) من مرثية في الشيخ عبدالعزيز الصيرامي للشيخ صالح بن سليمان بن سحمان ومطلعها:

همتْ أعينٌ حرَّى من الدّمعِ دائمِ ... على المُرتَضَى عبدِالعزيزِ الصَّيارمِ

(٢) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، تأليف عبدالله بن عبدالرحمن البسام، ٣/ ٣٨٦-٣٨٩، الطبعة الثانية، عام ١٤١٩هـ.

(٣) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ٣/ ٣٣٠، وإتحاف المحب والصديق بسيرة الوالد عبدالرحمن بن ناجي آل عتيق، تأليف إبراهيم بن عبدالرحمن آل عتيق، ص ٦٠-٦٢، الطبعة الأولى، عام ١٤٤٢هـ.

أثر في أولادها حيث كان منهم العلماء وطلبة العلم، **وصلاح الآباء يلحق الأبناء** قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾ الكهف: ٨٢، ولا تزال أسرة آل عتيق ولّادة للعلم والعلماء، وهي من **الأُسر العلمية النجدية**(١).

فأما **سعد** فقد بلغ في العلم مبلغاً كبيراً، واشتهر بسعة العلم والتقى والصلاح، مع التواضع وقلة الكلام، وقد احتفّ به التلاميذ وتخرج عليه أكابر العلماء النجديين، وكان له تقديره وإجلاله من الأمراء والعلماء، وبموته فقدت نجد نجماً من نجومها التي كانت تدل السائرين، وتنير الطريق للسالكين:

طـوتك يـا سعـد أيـامٌ طـوت أممـاً... كانـوا فبانـوا وفي الماضين مُـعتبرُ

إن كان شخصك قد واراه مُـلحدُه ... فعلمك الجمُّ في الآفاق منتشرُ(٢)

وأما **عبدالعزيز** فقد كان عالماً عابداً، يكثر ويطيل من قيام الليل والتعبد فيه، ولا يترك ذلك حضراً ولا سفراً، وكان حسن الصوت بتلاوة القرآن، وكان إذا صلى الفجر يجلس في المسجد مقبلاً على الأوراد والدعاء

---

(١) الأُسر العلمية النجدية كثيرة، وفائدة حصرها ومعرفتها إيضاح الجهود التي بذلتها كل أُسرة في الحركة العلمية خلال القرون المتأخرة.

(٢) جزء من قصيدة لشاعر نجد الكبير محمد بن عبدالله بن عثيمين ومطلعها:

أهكذا البدر تخفي نوره الحفر ... ويُقبض العلم لا عينٌ ولا أثرُ

انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ٢/ ٢٢٠-٢٢٧.

وتلاوة القرآن مع مراجعة محفوظاته من المتون العلمية، حتى ارتفاع الشمس ثم يصلي الضحى(١).

و**عبداللطيف** كان على جانب عظيم من العبادة والورع والزهد في الدنيا، وعندما أراد الملك عبدالعزيز (١٢٩٢-١٣٧٣هـ)رحمه الله توليته قضاء وادي الدواسر هرب من البلاد خوفاً من إلزامه بذلك، وبعد سنوات - في إحدى زياراته للسلام على الملك عبدالعزيز مع أخيه الشيخ سعد - أُلزِم بالقضاء فاعتذر عن ذلك فأكّد عليه الملك وأخيه فقبِل ذلك واستمر فيه حتى وفاته(٢).

و**إسحاق** كان عالماً، على جانب عظيم من العبادة والدعوة إلى الله والصبر في ذلك(٣).

تلك جزء من سيرة أُسرة أبقى الله لهم الذكر الحسن، والأثر الطيب، لتعليمهم العلم، ونفعهم للخلق:

بنى لكم حمدٌ يا للعتيق عُلاً ... لم يبنها لكـمُ مالٌ ولا خطرُ(٤)

*** عبدالعزيز بن عبدالله بن عبدالرحمن بن باز (١٣٣٠- ١٤٢٠هـ) رحمه الله:**

---

(١) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ١/ ٥٥٥.

(٢) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ٣/ ٥٦٠-٥٦١.

(٣) انظر: علماء نجد خلال ثمانية قرون، ٣/ ٣٣٠-٣٣٥.

(٤) جزء من قصيدة ابن عثيمين السابقة.

وُلد الشيخ يتيماً فربّته **أُمّهُ** واعتنت به وحرصت عليه، وكانت تحثّه على حضور الدروس، وتبث في نفسه عدم اليأس أو الاستسلام للأمراض، وكان إذا ذهب للمسجد تنتظره حتى يعود، وقد حضر درساً في يوم شديد المطر لم يحضره غيره!

في الخامسة عشرة من عمره بدأ بصره يضعف حتى فقده في سن العشرين، فتأثَّرت **أُمّهُ** لذلك، وكانت تبكي حين زارتها جارتها، فنصحتها أن تصلي ركعتين، وتدعو الله أن يرزقه البصيرة كما سلب منه البصر، ويجعله عالماً لهذه الأُمّة! فدعت له، فكان له من البصيرة في الدين ما هو معلوم:

إِن يَأخُذِ اللهُ مِن عَينَيَّ نورَهُما ... فَفي لِساني وَقَلبي مِنهُما نورُ(١)

ومن أعظم وسائل صلاح الأولاد دعاء الأبوين لهم بذلك، قال تعالى: ﴿رَبِّ ٱجۡعَلۡنِي مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِيۚ رَبَّنَا وَتَقَبَّلۡ دُعَآءِ ٤٠﴾ إبراهيم: ٤٠، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبۡ لَنَا مِنۡ أَزۡوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعۡيُنٖ وَٱجۡعَلۡنَا لِلۡمُتَّقِينَ إِمَامًا ٧٤﴾ الفرقان: ٧٤.

تلقى العلم على عدد من أهل العلم وأبرزهم شيخه العلّامة محمد بن إبراهيم آل الشيخ (١٣١١-١٣٨٩هـ)رحمه الله، فتخرج عليه وبرز على أقرانه وفاقهم، وقد كان شيخه يرى فيه النبوغ والتقدم، ولذا كان ينيبه في بعض المهام.

---

(١) البيت للصحابي الجليل حسّان بن ثابت الأنصاري رضي الله عنه.

وقد عاشت **أُمّهُ** حتى رأت استجابة الله دعاءها في ابنها، وشاهدت مظاهر النجابة عليه، وثمرة جهدها قد اينعت فيه، حيث توفيت وعمره ٢٧سنة(١)، وقد وضع الله للشيخ القبول في الأرض، وطبّق ذكره الأرجاء، يقول العلّامة محمد الأمين الشنقيطي(١٣٢٥-١٣٩٣هـ) رحمه الله: (لا يوجد رجل في العالم يهتم بأمور المسلمين كسماحة الشيخ عبدالعزيز)(٢).

*** عبدالله بن عبدالرحمن بن صالح البسام (١٣٤٦- ١٤٢٣هـ) رحمه الله:**

ولد الشيخ في عنيزة، في بيتٍ قد أصاب من العلم والثقافة حظاً، وفي أسرة معروفة بالعلم والأدب، توفيت والدة الشيخ وهو صغير لم يبلغ العاشرة، فقامت عليه زوجة أبيه خير قيام، وهي بهذه الحالة بمثابة **أُمّهُ**.

كان شغوفًا منذ صغره بطلب العلم، فكان كثير الاطلاع في مكتبة أبيه، ثم بدأ بطلب العلم في الكتاتيب، ثم عند الشيخ العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله، ومما واجهه في الطلب أن ظروف المعيشية لم تكن بذاك، فوالده كان ضعيف الحال، مثقلاً بالديون، والحال المادية للشيخ، قد ضيقت عليه، وليس له سبيل إلى التجارة، فوقفت معه زوجة أبيه موقف إحسان ورحمة وبر، لم ينسه لها، فأخذت أساورها ورهنتها عند أحد

---

(١) انظر: سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز كما عرفته، تأليف محمد بن ناصر العبودي، ص ٢٨-٢٦، دار الثلوثية، الرياض، الطبعة الأولى، عام ١٤٣٩هـ.

(٢) انظر: جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز رحمه الله، رواية الشيخ محمد بن موسى الموسى، إعداد محمد بن إبراهيم الحمد، ص ٢٥٣، دار ابن خزيمة، الطبعة الأولى، عام ١٤٢٣هـ.

التجار، واستلفت منه مبلغاً، وأعطته الشيخ، ليستأجر دُكاناً ببعض المال، ويجعل الباقي رأس مال لتجارة يسيرة، وفعلاً، حصل ذلك، وحسنت الحال قليلاً، واستمر على طلب العلم محافظاً مواظباً حريصاً. لقد حل إحسان هذه المرأة في نفس الشيخ محلاً عظيماً، فلم يرضَ أن تجلس بعد وفاة أبيه إلا عنده، وكانت قد طلبت أن تقيم عند إخوتها فرفض، فاستثقلت السفر معه إلى مكة، فقال: إن لم تسافري معي فسأنتقل راجعاً إلى عنيزة، فلما رأت إصراره وافقت، وسكنت عنده، وتوفيت في بيته بعد أن أصابها الكبر وشيءٌ من النسيان، رحمها الله وغفر لها(١).

*** بكر بن عبدالله بن أبو زيد آل غيهب (١٣٦٥- ١٤٢٩هـ) رحمه الله:**

نشأ الشيخ في بيت صلاح ودين، وقد توفي أبوه وعمره ١٣ سنة، وكان **لأُمّه** دور كبير في تنشئته على حب العلم والجد في طلبه، فقد كانت حافظة للقرآن الكريم، وكثير من المعلقات الشعرية المشهورة، ولما انتقلت مع الشيخ للمدينة النبوية كانت تحضر دروس الشيخ العلّامة محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله، وهذه السيرة العطرة لوالدة الشيخ رحمها الله أثّرت في ابنها بعد توفيق الله، وقد تلقى العلم عن الأكابر وأبرزهم شيخيه الشنقيطي المفسر وابن باز رحمهما الله، وقد كان من بر الشيخ **بأُمّه** أنه لم يرحل في طلب

(١) باختصار وتصرف من مقال: (فضيلة الشيخ عبد الله البسام تضحية وجهاد في سبيل العلم) للدكتور: فريد بن عبد العزيز الزامل السُّليم، نُشر في صحيفة الجزيرة، ٧ / ١٢/ ١٤٢٣هـ، على الرابط:
http://www.al-jazirah.com/2003/20030208/rj3.htm

العلم لحاجة **أُمّه** إليه، كما أن رسالة (أذكار طرفي النهار) التي كتبها الشيخ كانت في الأصل **لأُمّه**، وقد كان عالِماً علّامة في عددٍ من الفنون (فإن تجلت العلوم فهو فيها البدر، وإن ذُكر العلماء فهو فيهم الصدر)(١)، وقد اطال الله عمر والدته حتى بلغت ١٠٤ سنة، وتوفيت بعده بسنة، ورأت ابنها وثمرة فؤادها قد نفع الله بعلمه الفئام من الناس، ونشر الله له القبول بين القاصي والداني(٢).

هذه لمحات موجزات عن نساء رائعات، استشعرن عظم مسؤولية كونهن **أُمّهات**، فساهمن في نهضة الأُمّة - بعد توفيق الله لهن - بحُسن تربيتهن لأبنائهن، فصِرن لغيرهن قدوات صالحات:

ولـوْ كـانَ النّسـاءُ كـمَنْ فَقَـدْنا ... لفُضّلَتِ النّسـاءُ على الـرّجالِ

وما التأنيثُ لاسمِ الشّمسِ عَيبٌ ... ولا التّذكيرُ فَخْرٌ للهِلالِ(٣)

---

(١) من تقديم الأستاذ الدكتور أحمد بن علي القرني لكتاب "سيرة الشيخ بكر أبو زيد وأخباره١٣٦٥-١٤٢٩هـ رحمه الله" للباحث صالح بن عبدالله اليافعي، ص ٨. صدر عن دار التوحيد، الرياض، الطبعة الأولى، عام١٤٣٨هـ.

(٢) انظر: المصدر السابق، ص ٣٤، ٣٨، ٣٩.

(٣) جزء من قصيدة لأبي الطيب المتنبي يرثي والدة سيف الدولة، ومطلعها:

نُعِدُّ المَشرَفِيَّةَ وَالعَوالي ... وَنَقتُلُنا المَنونُ بِلا قِتالِ